ترجمة المؤلف

بقلم الأستاذ فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة حفظه الله تعالى

مستخلصةً مما كتبه تلميذُه أستاذُنا العلامة البارعُ الجامعُ لأنواع الفضائل الشيخ أبو المحاسن محمد يوسف البَنُورى حفظه الله تعالى فى كتابه الماتع الكبير "نفحة العنبر من هدى الشيخ الأنور"، وفى تقدمته أيضًا لكتاب "عقيدة الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام" من طبعته الثانية، وفى مقدمته لكتاب "فيض البارى على صحيح البخارى"، ومقدمته لكتاب "مشكلات القرآن"، وثلاثتُها من تآليف الإمام الكشميرى رحمه الله تعالى.

وملخصةً أيضًا مما كتبه تلميذُه أستاذُنا العلامة المحقِّق الأرشد كبيرُ تلامذة الإمام الكشميرى الشيخ محمد بَدْر عالَم، المجاور الآن فى المدينة المنورة فى مقدّمته أيضًا لكتاب "فيض البارى على صحيح البخارى" جزاهما الله خيرًا.

وقد كنتُ عزمتُ على تعريف القراء بالإمام الكشميرى فى صفحتين أو ثلاث، ولكن وجدتُنى -إن فعلتُ ذلك- هاضمًا لمقام الشيخ ومُجحِفًا بحقّ القُرَّاء، فاستوفيتُ فى ترجمته بعضَ الاستيفاء، فكانت هذه الصفحات الطويلة، ولكنها قطرةٌ من مُزْنِ ما كتبه شيخنا العلامة البَنُورى سلّمه الله تعالى وكرَّمه.

الإمام الكشميرى

هو إمام العصر، ومُسنِد الوقت، المحدِّث المفسِّر، الفقيه الأصولى، المتكلم النظّار، الصُّوفىّ البصير، المؤرِّخ الأديب، الشاعرُ اللغوىّ، البحَّاثة النقَّادة، المحقِّق الموهوب، الشيخُ الإمام محمد أنور شاه الكشميرى (١) بن الشيخ مُعَظَّم شاه بن الشاه عبد الكبير

---

(١) يقول عبد الفتاح أبو غدة ملخص هذه الترجمة وناسجها: ليست هذه الألقاب من قبيل المديح والإطراء، ولا المبالغة والتفخيم، وإنما هى من الحقائق التى تحلى بها الإمام الكشميرى رحمه الله تعالى، يعلم ذلك من اطلع على تآليفه وزاخر علومه، ولست -والحمد لله- ممن يكيل المديح جزافًا والثناء اعتسافًا.

النَّرُورى الكشميرى، جاء سَلَفُهُ من بغداد إلى الهند، ونزلوا مُلْتان، ثم رحلوا منها إلى لاهور، ومنها إلى كشمير، فأصبحتْ لهم مُستقرًا ومُقاما.

وُلِدَ صبيحة يوم السبت السابع والعشرين من شوال سنة ١٢٩٢هـ فى قرية وُدْوَان - بوزن لُبْنان- التابعة لمدينة كشمير -جَنَّة الدُّنيا وزهرة الرَّبيع الدائم- وكان والده عالمًا تقيًا كبيرًا شيخًا فى الطريقة السُّهْرَوَرديّة، وكانت والدته صالحة عابدة، يتيمةَ دهرِها فى الورع والزهد والعبادة، فنشأ فى بيتِ علم وصلاح، فى رعايةٍ دقيقة، وتربيةٍ عجيبة.

ولما بَلَغ الخامسة من عمره شرَع فى قراءة القرآن فختَم التنزيلَ العزيز، وفَرَغ من عِدَّة رسائل بالفارسية فى عامين على حضرة والده، ثم شرَع فى قراءة الكتب الفارسية، المتوارَثِ قراءتُها فى أهل بلدته من كتب الأدب الفارسى من النظم والنثر، ورسائل الإنشاء وكتب الأخلاق، مِن مؤلَّفات الشيخ السعدى الشيرازى، والنظامى، والأمير خسرو الدهلوى، والعارف المحقِّق الجامى، والمحقِّق جلال الدين الدَّوَّانى وغيرِهم، فبرَعَ فيها ما شاء الله تعالى، وحوَى علمًا بتلك الكتب الفارسية والعلوم المتعارفة حتى فاق الأمثالَ والأقران، وأشِيرَ إليه مِن فضلاء بلده بالبَنَانِ، وحَصَلَتْ له ملكةٌ فى صياغةِ النظم الفارسى وإنشاء النثر، ولم تتمَّ له بَعْدُ عشرُ سنواتٍ من العمر، وقد ورِثَ ذلك عن والده، فقد كان والده شاعرًا مُجِيدًا بالفارسية، وكان عالمًا فاضلا فى الفرائض والعلومِ الرياضيَّةِ وبعضِ العلوم الآلية، فأصبح الشيخ شاعرًا وفاضلا فى تلك العلوم التى فى بيته.

قال تلميذه العلامة البنورى أستاذُنا حفظه الله تعالى: "سمعتُ الشيخَ رحمه الله تعالى يقول: إنى قرأتُ كتب الفارسية الرائجة فى بلادنا خمسَ سنوات، وبقيتُ فى تعلُّم العلوم العربية خمسة أعوام".

وكان رحمه الله تعالى من مُستهلِّ طفولته على دأبٍ نادر عجيب فى التحصيلِ واكتسابِ العلوم والمعارف، فقد كان لا ينام مُضطجعًا إلا ليلةَ الجمعة، وما عداها يَسْهَر لياليَهُ بالمطالعة، وإذا غلبَه النعاسُ نام جالسًا، كما أخبَرَ به صاحبُه وتلميذه العلامة الجليل الشيخ مشيئةُ الله البَجنورى.

وتجلَّت بوارقُ ذكاءه المتوقِّد ونُبوغه العُجاب فى فاتحة قراءته على أوَّل شيخ من شيوخه وهو والدُهُ، وقد تحدَّث عن ذلك فقال: "كان يَسألنى فى درس "مختصر القُدُورى" أسئلةً أحتاجُ فى الإجابة عنها إلى مطالعة كتاب "الهداية" ثم فوَّضتُ دراستَهُ إلى عالِمٍ

آخر ، فجعل يشكو مِن كثرةِ سؤالاته ، وكان خارج دراستِه ساكنًا صامتًا ، لا يرغَبُ فيما يرغب فيه الصبيانُ والأطفال من الملاعب ، وأتيتُ به إلى شيخٍ عارفٍ مُجابِ الدعوة فى بلادنا ، فلما رآه قال : "سيكون أعلمَ أهلِ عصره ، ورأى بعضُ أعلامِ عصرنا تعليقاتِه على كتبه الدِّراسية ، فتفرَّسَ فيه بأنه سيكون غزالىَّ عصره ، ورازِىَّ دهره".

ثم شرَعَ فى تحصيل العلوم العربية وغيرها على علماء بلاده : كشمير وتوابعها ، ففرَغَ من الصَّرْف والنحو وقدرٍ صالحٍ من الفقه وأصولِه والمنطق وغيرها فى حولين فصاعدًا ، ولمَّا ارتوى من علوم أهل بلده ، سافر فى حدود سنة ١٣٠٧هـ إلى مديرية (هزارة) على حدود كشمير من جهة الفنجاب الشمالى ، وكانت مَحطًّا لِحُذَّاقِ العلوم الدَّرسية والأساتذةِ المتقنين ، فمكثَ فيها نحوَ ثلاثة أعوام ، قرأ فيها كتبَ المنطق والفلسفة والهيئة وغيرِها ، وكان علمُ الفقه وعلمُ الفتوى فى كشمير مما يُتسابَقُ فى حلْبَة رِهانه ، فأصبح الشيخُ فقيهًا مُفتيًا لا يُدرَكُ شأوه ، ولا يُشَقُّ له غبار ، حتى أفتَى فيها المفتيين والفقهاءَ فى الحوادث والنوازل والفتاوى العقيمة ، ولم يفتقر إلى مراجعةِ كتاب.

قال تلميذه الأرشد شيخنا الشيخ محمد بدر عالَم حفظه الله تعالى : "سمعت الشيخَ يقول : كنتُ أُفتِى للناس بكشمير حينَ بلغتُ من عُمرى اثنتى عشرة سنة ، وكنتُ أطالع الشروحَ من كتب الفقه والنحو حينَ تمَّ من سِنِّى تسعُ حِجَج".

بيد أنه لم تَقْنَع نفسهُ الطَّموحُ بذلك القدر الذى حصَّله فى معاهد (هزارة) ومدارس كشمير ، ولم تُنْقَع به غُلَّتُه ، بل كان يزدادُ ظمأً وأوامًا إلى دركِ حقائق العلوم والتبحرُّ فيها ، فشدَّ الرحل إلى أكبر مركزٍ علمى فى بلاد الهند : "دارالعلوم" فى قرية ديُوبند ، بقرب دِهْلى عاصمةِ الهند ، وكانت "دارالعلوم" حقًا قُرطُبةَ الهند وأزهرَها ، وكانت ساحتُها مستنيرةً بجهابذةِ العلوم النقلية والعقلية وفُحولها ، فأدرك الشيخُ فيها رجالا جمَعوا إلى علومهم الناضجة الرَّسمية : علومَ العُرفاء والأولياء ، وجَمَعوا إلى دقَّةِ المدارك وإصابةِ الرأى : رِفْقَ القولِ وصِدقَ اللهجة ، أصحابَ هيئة ووقار ، وأصحابَ سُنَّة وورَع ، وزهدٍ وتقوى ، فكانوا علُماءَ عُرفاء ربَّانيين أصفياء ، فكَسَتْه صُحبتُهم وإفادتُهم علمًا صحيحًا ، ورأيًا صائبًا ، وشغَفًا باتّباع السُّنَّة ، وبهاءً فى المَلكاتِ الفطرية ، وجَمالا فى الأخلاق والآداب.

وكان أكبرَ هؤلاء الأجلّة وأبجلَهم شيخُ العالَم ، ومُسندُ الوقت ، رُحلَةُ الأقطار

وشيخُ العرب والعجم: الشيخ محمود حَسَن الدّيوبَنْدى رحمه الله تعالى، وكان هذا الشيخ مرتويًا من علوم القرآن والسنّة والحقائق والمعارف من شيخيه: قُدوةِ الأمّة رشيد أحمد الكَنْكوهى، وبحرِ المعارف والعلوم محمد قاسم النّانُوتَوِى قدّس الله رُوحَهما.

فَوجَدَ الشيخ الكشميرىُّ عند شيخه الشيخ محمود حَسَن ضالّته التى يَنشُدها، والعلومَ التى يتطلّبها، فملأ مِن معارفه ومَداركه قلبَهُ ولُبَّه، وعَبَّ منها ونَهَل، كما لقى فى ديوبند أيضًا العلامة المحدّثَ الشيخ محمد إسحاق الكشميرى ثم المدنى، فاستكمل ما بقى من العلوم، وقرأ على هذين الشيخين كتب الحديث الشريف كما يقول: "قرأتُ صحيح البخارى، وسنن أبى داود، وجامع الترمذى، والجزءين الأخيرين من الهداية على شيخ العالَم شيخنا المحمود قُدّس سِرُّه، وقرأتُ صحيح مسلم، وسنن النسائى الصغرى، وسنن ابن ماجه على الشيخ محمد إسحاق الكشميرى رحمه الله تعالى".

وفرَغَ من قراءة هذه الكتب سنة ١٣١٣هـ، وتخرَّج من ديوبند عالمًا فاضلا، نابغًا فى العلوم روايتها ودرايتها، فى مقتَبَل شبابه، فاستشرفَتْ إليه العيونُ وتعلّقت به القلوب، وأشيرَ إليه بالبَنان.

ثم ذهب إلى دِهْلى، وفُوّضَ إليه الدرسُ فى "مدرسة عبد الربّ"، فدرَّسَ فيها عِدَّة شهور، ولم يَلبث أن تفرّسَ فيه بعضُ صُلحاء أصدقاءه ورفقاءه الشيخ محمد أمين الدهلوى مخايلَ النجابة الباهرة، فأصرَّ عليه أن يَنهض بتأسيس مدرسةٍ عربية فى دهلى، فاستجاب لذلك، وقام مُشمِّرًا عن ساعد الهمَّة، وساعدَهُ على ذلك بعضُ أهل الهمم العالية من أولى الخير وأربابِ الفضْل والثروة (١)، وافتتح مدرسةً سمّاها: "المدرسة

---

(١) قال عبد الفتاح: زرتُ فى رحلتى إلى الهند وباكستان نحوَ ثلاثين مدينةً من كبار المدن وصغارها، كما زرتُ كثيرًا من القرى التى جاءت فى طريق الرحلة، فكانَتْ كلُّ بلدة وأكاد أقول أيضًا: كلُّ قرية لا تخلو من مدرسة أو مدارس لتعليم الشريعة الغراء، وكانت كلُّها: مبانيها، ومكتباتُها، ومساكنُ الطلبة، ومساكنُ الأساتذة فى بعضها ونفقاتُها الدائمة العالية: تبرعًا من أهل الخير والإيمان.

وأذكر على سبيل المثال بلدةَ "مُلْتان" من الباكستان الغربية، وهى بلدة صغيرة، فيها مدارسُ كثيرة، زرتُ منها بحسب ما تيسرتْ لى زيارتُه ثلاث مدارس: مدرسة أنوار العلوم، ومدرسة قاسم العلوم، ومدرسةَ خيرِ المدارس، ورأيت فى مدرسة "خير المدارس" مزايا لم أرَها فى سواها من مدارس الهند وباكستان، فهى ذات أقسام خمسة: قسم لتعليم قراءة القرآن، وفيه ٣٨ قارئًا، وقسم لحفظ القرآن غيبًا، وفيه ١٧٩ حافظًا، وقسم لتعليم الصغار من الطلبة، وفيه ٢٢٠ طالبًا، وقسم لتعليم الكبار، وفيه ١٧٩ طالبًا، وقسم خامس مستقلّ فى مكانه لتعليم البنات صغيرهن

الأمينيَّة" باسم رفيقه المولوى محمد أمين الدهلوى، وشاع صِيتُها فى أقطار الهند، وقُصِدتْ من كل جانب، وشرَع الشيخُ نفسُه يُدرِّس فيها العلومَ، وأعاظمَ الكتب من الحديث والتفسير والبيان والمعقول وغيرها، وبقى على الإفادة والتدريس فيها عِدَّةَ سِنين.

ولما بَسَقَتْ فروعُ تلك "المدرسة الأمينية"، واستكملَتْ وجودَها وكمالَها، وقامت تَنْشرُ العلمَ فى ربوع تلك الديار، وتَخرَّج على يَد الشيخ فيها المتخرِّجون، وتروَّى من فيضه المشتاقون أغراه الحنينُ إلى مألَفِه ومَهْواه: كشمير، فامتطى هوجاءَ الوجد، وودَّعَ قلوبَ المُحبِّين حسرةً، بل شَخَصَ مغادراً للأشباح، ومستصحبًا معه القلوبَ والأرواح.

ثم أقام فى كشمير ثلاثَ سنوات، فأسس فيها مدرسة دينية سمَّاها: "الفيض العامّ"، فدرَّس فيها وأفتى، ونَصحَ الأمَّةَ قلمًا ولسانًا، وسعى فى إصلاح كثير مما راج هناك من البِدَع والرسوم المُحْدَثة، فرأبَ الله به الصَّدْع، وقام به الأمر، وانقشعَتْ بوجوده سحائبُ الجهل المتراكمة، وتلألأتْ آثارُ النبوية الشريفة.

ثم اشتاق إلى زيارة بيتِ الله الحرام، وإلى حَرَم رسولِ الله ﷺ، فوفَّقه الله إلى زيارتهما سنة ١٣٢٣هـ، ومكث فى مكة -زادها الله مجدًا وكرامة- عِدَّةَ شهور يُطفئ ضِرامَهُ بالطواف والِهًا باكيًا، ويلتجئ متشبِّثًا بأستار الكعبة الطاهرة فى دُلَج الليل داعيًا ومُناديًا، ثم حثَّه حادى الشوق إلى المدينة الطيبة -زادها الله شرفًا وحُرمة- فاستحثَّ العزيمة، وشدَّ الرحال إلى روضة النبى الكريم ﷺ، فلبثَ فى المدينة المنورة برهة من الدهر يُروى غليلَه، ولقِىَ فيها الشيخ الفاضل الشيخ حسين الجِسْر الطرابلسى مؤلِّف "الرسالة الحميدية" و"الحصون الحميدية"، ولازمَهُ مدةً، وأجازه الشيخُ الجِسربأسانيده فى الحديث

وكبيرهن، وعدَدُهن ٢٩٠ طالبةٍ، ويقرأ هؤلاء الطالبات فى السَّنَةِ النهائية ما يَقرأ الطلابُ فيها، وهو الكتب الستة من الحديث الشريف: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبى داود، وسنن النسائى، وسنن الترمذى، وسنن ابن ماجه، ويقرأن معها كتاب "مشكاة المصابيح".

وقدِ رغب مدير المدرسة شيخُنا ومجيزُنا الشيخِ خيرُ محمد حفظه الله تعالى ونفَعَ بأنفاسه المباركة من إحدى الطالبات أن تقرأ حديثًا وتشرحه، فقرأتْ من وراء حجاب حديثًا من "صحيح البخارى" بسنده ومتنهِ قراءةً عربية صحيحة فصيحة، ثم شَرَحته فدلَّت على علم وفهم.

وميزانية هذه المدرسة مائة ألف روبية، كلُّها من أهل الخير والإيمان -بارك الله فيهم- ولا تتناول كلُّ تلك المدارِس المنتشِرة فِى طول الهند وباكستان وعرضهما درهمًا واحدًا من الحكومة، وإنما تعيش وتزدهرُ وتنمو وتتَّسع على إمداد أصحاب الغيرة والثروة من المسلمين لا غير أبقاهم الله وأجزل مثوبتهم.

كما لقى رجالا من أكابر علماء البلاد الإسلامية، وذاكرهم فى مهِمّات المسائل.

واغتنم فرصة قربه من مكتبات المدينة المنوّرة الخطيَّة وخاصة "مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت الحُسَينى" و "المكتبة المحمودية"، وكان فيهما ذخائرُ نادرة، فانكبَّ على مطالعة نفائسِهما من التفسير والحديث وغيرهما، حتى طَفَحَ صدرُهُ بعلوم تلك الأسفار الزاخرة، ثم عاد إلى وطنه يطوى فى ضميره الرجوعَ إلى الحرمين، والمجاورة فى جوار رسول الله ﷺ حتى لقاء الله.

ومكثَ غيرَ بعيد حتى شُغِفَ فؤاده بما كان نواه من العودة إلى المدينة الطيّبة، فاجتمع إليه أعيانُ القوم، واكتنفه شُرفاءُ الناس، وتعاوروُه من كلِّ جهة، وألحُّوا عليه بالزواج، وعَرَضوا عليه بناتِهم وتنافسُوا فى إيثاره وتكريمه، واستأثروه بعَرْضِ المزارع والحدائق ونقود الأموال، فلم يكن منه أن يميل إلى شىء منها، وخالَها أغلالا فى عُنُقه، وسدًّا منيعًا دون مآرِبه ومَهْواه، فأصَرَّ على عزْمه وهجرته، فأخذ عصَا التَّسْيار، وغادَرَ أسرتَهُ ومنشأه ومَنْمَاه متوجهًا إلى الجوارِ النبوىِّ على صاحبه الصلوات الطيبة والتحيات المباركة.

وبلغ "ديوبند" يُريد زيارةَ شيخِه شيخ العالَم محمود الحَسن ووداعَهُ، وأنبأه بما نوى من الهجرة إلى الحرمين الشريفين، فأمَرَهُ الشيخُ رحمه الله بفَسْخ العَزْم، وأبرمَ عليه الإقامة فى "ديوبند"، وكان شيخُه رحمه الله تعالى تفرَّسَ فيه آثارَ النجابة الباهرة ومخايلَ الكرامة مِن قبل، وسبرَ عِلمَهُ وفَضْلَهُ وتقواهُ وورَعَه، وشاهَدَ ما فُطِرَ عليه من الأخلاق الفاضلة والمناقب العالية، وأحسَّ الشيخُ أيضًا أن البلاد الهندية ومركزَ العلوم الإسلامية "ديوبند" أحوجُ إلى فيضِه وعلومِه، فأمَرهُ بفَسْخ العزم، وأبرمَ عليه الإقامة فى "ديوبند"، واستلَمَ منه زادَ سفره، وزوَّد به آخرَ للحجِّ والزيارة، ولم يكن الشيخُ الأنور يُفرِّطُ فى امتثال أمر شيخه، فأقام فى "ديوبند"، وكان ذلك فى حدود سنة ١٣٢٥هـ، وأمرَهُ الشيخُ بتدريس "صحيح مسلم" و "سُنَن النسائى" و "سُنن ابن ماجه"، فنَهَض بها على خير وجه، وكانتْ فاتحةَ تدريسه فى "دارالعلوم الديوبندية"، واستمر على ذلك إلى سنة ١٣٣٢هـ.

ثم أراد شيخه رحمه الله تعالى سفرَ الحج والزيارة فى سنة ١٣٣٣هـ فاستخلفه نائبًا عنه فى التدريس، وصَدْرَ المدرِّسين فى "ديوبند"، فأخذ يُدرِّسُ "الصّحاح السِّتّة" وأمهاتِ كتب الحديث، وكان مِن أمرِ الشيخ محمود حسن أنْ أسرَتْهُ الحكومةُ البريطانية الغاشمة فى

جزيرة مالطة، فبقى الشيخُ الأنور قائمًا مقامَهُ عشرين سنةً فى تدريس "صحيح البخارى" و"جامع الترمذى" وغيرهما.

وكان أهلُ "دارالعلوم" فى ديوبند على ثقةٍ بإقامته، ولكنهم حاذروا أن يعود إلى عزمه من الهجرة إلى الحجاز، فخَطَبَ له حضرة ناظم الجامعة الديوبندية ومديرُها خِطبةً فى بيئةِ شرفٍ وفضلٍ من بيتِ السيادة الفاطمية، ليكون زواجُه سدًا دون عزائمه، فزوَّجُوه وجعلوه صاحبَ أهلٍ وعيال، بل صاحبَ شِكال وعِقال.

وكان فى "دارالعلوم" لا يأخذ راتبًا على تدريسه إلى عِدَّةِ أعوام من إقامته فى ديوبند، ثم لما تأهَّل واضطرَّ إلى مصالح البيت ونفقةِ العيال، أحسَّ بذلك أهلُ الجامعة، فعيَّنُوا له راتبًا يكفى لحوائجه الحاضرة، ووصلَتْ إليه فى ذلك الحين دعوةٌ من "المدرسة العالية" فى كلكتة لشُعْبَةِ صدَارةِ المدرِّسين براتب ثمانمائة روبية مشاهرة، وكان راتبُه فى جامعة ديوبند أقلَّ من خمسين روبية، فلم يُزعجه هذا المبلغُ الضخم عن قناعتِه ومُقامِه، وقال: "يكفينى ما تيسَّرَ لى، ولا حاجة بى إلى ما سواه".

وقضى فى "ديوبند" ثُلُثَ عُمُرِه، وجرَتْ من قلبه وفمه ينابيعُ الحكمة ومناهلُ العلم والمعرفة، حتى استفادَ منها رجالٌ من الأفاضلِ وأماثلِ العصر، وتَضلَّعَ منْ لا يُحصَى عددًا من الأصاغر والأكابر، وتخرَّجَ عليه فى تلك البرهة أكثرُ من ألفَىْ خرِيج من قرأ عليه أمّهاتِ كتب الحديث، وأصبح بابُهُ مَحطًا للرِّحال وملجأ للرجال، وأصبح وجودُهُ العلمى سببًا لإصلاح طُرُق التدريس، وانتهج للعلماء مناهجَ التحقيق وطُرُقَ التفصِّى من مُعضِلات المسائل وغوامِضها، وكان درسُهُ جامعًا للبدائع تَنْحلُّ به مشكلاتُ سائر العلوم، واقتفى العلماءُ المدرِّسون أثَرَه، بيْدَ أنه لا فتى كمالك، فكان يَتدفَّقُ بحرُهُ المتلاطِمُ من علومه، فيَفيضُ من كلِّ ناحيةٍ يَسقى الأجادبَ، ويُروِى غليلَ العلم.

وكان يجودُ بثروتِه العلمية، وإعارته مذكِّراته الحاوية ذخائرَ العلم ونفائس الأبحاث على السائلين بسماحةِ نفسٍ وإخلاصٍ، وحرصٍ على الإفادة.

وقد سلَّ فى عهد إقامته بديوبند صارِمَهُ العَضْب لكَمْع عُرُوق الثُّلَّةِ الباغية القاديانيَّة لاغًا وإرشادًا ودرْسًا وتأليفًا، واستحثَّ الهِمَم المتوانية، والجهودَ المتقاعدة من العلماء الطلبةِ وعامةَّ الأمَّة الإسلامية إلى مقاومة هذه الفئة الضالَّة المُضِلّة، ومكامعَةِ هذه الكارثة الدَّهياء والبليّة العمياء حتى أيقظَ الرَّقود، ونبَّه الغفلة من أصحاب الجرائد والمجلات بمكائد

هذه الحادثة الفظيعة ودسائسها، فأثمر الله نهضتَهُ المباركة، وتركَ تلك الفتنة على مِثْلِ مِشفر الأسَد، وأقبرَها بسَعْيِه وعلمِه ولسانِه وقَلَمِه، فكان له منةٌ عظيمة على رقاب الأمّة المحمّديَّة، ومأثرةٌ جليلةٌ لا تُنسى على تقادمِ الأزمان.

ثم لما استقال من منصبِ دَرْسِه فى ديوبند سنة ١٣٤٦هـ اكتَنَفَتْه الدَّعواتُ، والمخلصون من كلّ جهة للتدريس برواتبَ سامية ومُشاهراتٍ عالية، حتى بلغَتْهُ الدَّعوةُ من نوّاب دهاكه فى باكستان الشرقية بألفِ روبية مشاهرة فلم يقبل، حتى أصرَّ عليه المشتاقون إلى بركاته من أهل الخير والدُّثور بأن يَمْتطى صَهْوَةَ الرحيل إلى كُجْرات الهند، وبعدَ إلحاحٍ وإصرارٍ شديدين أجاب الشيخُ الدعوةَ لمصالح تفرَّسَها، فرحَلَ فى شهر ذى الحجة من خاتمة سنة ١٣٤٦هـ إلى قريةٍ فى نواحى سُورَتْ تسمى "دابيل"، على بعد نحو ١٥٠ ميلا من مدينة بمباى، ونشأ بوجوده الميمون هناك معهدٌ كبيرٌ يُسمَّى "الجامعة الإسلامية"، وإدارةُ تأليفٍ ونشرٍ تُسَمَّى "المجلسَ العلمى" ونشرَ المجلس المذكور فى حياة الشيخ وبعده كتبًا قيمة فى شَتَّى المواضيع قاربت الأربعين كتابًا، سارتْ فى المشارق والمغارب، وتلقَّفَها العلماءُ من كل جانب.

وبقى الشيخ فى "دابيل" خمسَ سنوات يشتغل بالدرس والتأليف والوعظ والتذكير، فارتجَتْ تلك البسيطةُ من طنينِ حديثه، وسارت الركبانُ تَروى أحاديثَ فيضه وبركاته، وتشكرُ جَدْبَاءُ الهند أيادىَ غمامه، واستنارتْ هاتيك البقاعُ بنوره علمًا وعملا وسُنَّةً وحديثًا، فقوَّمَ بوجوده المُباركِ الأوَد، وأصلَح اللهُ به هناك أمّةً، وقد غلبتْ عليه رِقَّةٌ فى آخر حياته الشريفة، فكان يأخذه البكاء فى دروسِه ومَواعظِه، فكان يَبْكى ويُبكى رحمه الله تعالى.

غير أنه اجتوى المُقام فى "دابيل" وما طاب له هواءها فابتُلى بداء البواسير، فعاد إلى "ديوبند"، واشتد عليه هذا الداء العُضَال حتى نَزَفَه الدمُ، واستولَتْ عليه الصفراء إلى أن حان أجلُه فتوُفِّى رحمه الله تعالى فى الثُلُث الآخِرِ من ليلة الاثنين ثالثِ صفر سنة ١٣٥٢هـ وصُلِّى عليه صلاة الجنازة فى ساحةِ "دارالعلوم" فى جموعٍ غفيرة لا يَعلَمُ عددَها إلا الله تعالى، وحُمِلَ على الأيدى، وفى حبّات القلوب، ودُفِنَ بالجانب الجنوبى من مُصلَّى العيد فى ديوبند فى بقعة كان وصَّى بشراءها، وكان كما قال أحدُ شعراء مكة فى الوزير جمال الدين، وكان محسنًا إليهم -كما نقلتُهُ من خطِّ الشيخ الكشميرى نفسِهِ المصوَّر مع

تعليقاته على كتاب "آثار السنن" للنِّيموِى" - :

سَرَى نَعْشُهُ فـوقَ الرِّقـابِ وطالما ... سَرَى جُودُه فوق الـرِّكـابِ ونائلُه
يَمُرُّ عـلى الـوادى فـتُثْنى رِمالُهُ ... عليـه وبالنَّادى فتُثْنى أرامِلُـه

وكما قال هو رثاء شيخه شيخ العالَم محمود حَسَن الديوبندى رحمهما الله تعالى من قصيدةٍ طويلة رنَّانة :

سَرَى نَعْشُهُ فـوقَ الرِّقـابِ طالما ... سَرَى عِلْمُهُ فـوق الرِّكـاب ورفَّعـا
وشـيَّعـهُ المخلوقُ من كلِّ جـانبٍ ... فلـم أرَ إلا الفَضْلَ كـان مُودِّعـا
ولم أرَ مـثلَ اليوم كم كـان باكيًا ... ومـا كـان دَمْعُ القوم دَمْعًا مُضَيَّعـا
ولم أدرِ مـا ذا كـانَ إحرامُ حَجِّهِ ... أكـان قِـرانًـا أم أجـازَ تَمَتُّعـا

وقد خلَّف من أولاده الذكور ثلاثةَ أبناء، هم: محمد أزهر شاه، وهو أكبرهم، ومحمد أكبر شاه، وهو أوسطهم، ومحمد أنضر شاه، وهو أصغرهم، وكلهم أهل علم وفضل، كما خلَّف والدَه المحترم محمد معظَّم شاه، وقد جاوز عُمُره المبارك يومَ وفاة الشيخ الأنور مائة وعَشْرَ سنين، رحمة الله عليهما جميعًا.

وقد رثاه الأفاضل من العلماء والأدباء بقصائد رنَّانة طويلة، تُفتِّتُ الأحشاء وتُدمعُ القلوبَ والعيون، وأنشِدَ فى حَفْلِ تأبينه بعد يومٍ من وفاته سبعَ عشرة قصيدة بالعربية والأردية، وبلَغَت القصائد التى رُثى بها أكثرَ من ستين قصيدة، وكنت أوردتُ منها فى هذه الترجمة الشىء الكثير، ولكن ضيق الصفحات الباقية للترجمة ألزمنى بالاقتصار المجحف، فمعذرةً للشعراء وللقراء.

وكان مما قاله تلميذُه أستاذُنا العلامة المحدِّث الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى صاحب "التعليق الصبيح شرح مشكاة المصابيح" وشيخُ الحديث وصَدْرُ المدرِّسين الآن فى الجامعة الأشرفية فى لاهور حفظه الله تعالى من قصيدة تجاوز الستين بيتًا:

سَلامٌ عـلى حِفظِ الكتابِ وسُنَّة ... وحِفظٍ وضبطٍ بعـد شيخ مبجَّلِ
أريـدُ بـه نُـورَ الهـدايـة أنورًا ... كبَـدْرٍ مبينٍ فى دُجى اللَّيلِ أليلِ
فقـد كان إعجـازًا لـدِينِ نبيِّنا ... كمثلِ البخارى أو كنحوِ ابن حنبلِ
وكـان إمامًـا حـافِظًا ومحدِّثًا ... إليـه انتهَى شَدُّ المطايا وأرحُلِ
وقد كان فَردًا حافظَ العَصرِ جامعًا ... معَارِفَ أعـلام الهُدَى والتفضُّلِ

بكى عالَمُ الإسلام طرًا وأعولا ... لخطبٍ جليلٍ قد أناخ بمَنزِلِ
بكاه مَقامُ الدَّرسِ والوعظِ حاسرًا ... بكته نواحى الأرضِ والفَلَكُ العلى
فقد كان رُمحًا سمهريًا مُثَقَّفًا ... لِمثلِ مَسِيح القاديان المُخَبَّل
وأبيضَ هِنديًا لكلِّ مُسَيْلِمٍ ... وكلِّ مُناغٍ فى نُبُوَّة مُرسَلِ
تُوفِّيتَ يا رأسَ التُّقى وتركتَنى ... لفقدِك أرويه بدمْعٍ مُسَلْسَلِ
شَرَحتَ لنا الآثار إذ هى أشكلتْ ... وفسَّرتَ آياتِ الكتاب المفضَّلِ
وعطَّرَ أفق الأرض من عرفك الشذى ... يُبارى شذاهُ رُوحَ مِسكٍ ومَندلِ
عليك سَلامُ الله يا قبرَ أنورٍ ... ورحمتهُ تَتْرَى كودقٍ مُجلجلِ
بفضلك يا مولى الورى قل لروحه ... أيا رُوحَ عبدى هذه الجنَّةُ أدخُلى

ورثاه تلميذه أستاذنا العلامة الشيخُ الأديب الجامع البارع أبو المحاسن محمد يوسف البنورى بقصائد طويلة مِن بعضِها هذه الأبيات:

العين ذَرَّافةٌ والقلبُ حيرانُ ... والطيرُ تشدو فتبدوْ منه أشجانُ
الشمسُ كاسفةٌ والأرضُ مظلمةٌ ... والمُزْنُ تبكى فسالَتْ منه بلدانُ
خطبٌ ألمَّ على الإسلام مكتنفًا ... تزلزلَتْ منه أطوادٌ وأركانُ
وللحوادث سُلوانٌ يُسهِّلُها ... وما لمَا حلَّ بالإسلام سُلْوانُ
قَضَى الحياةَ إمامُ القوم مرجعُهم ... شيخُ الحديث فقيه النَّفس سفيانُ
بحرُ البحور وشمسُ المَجْد مسندُهم ... فيما روَى من حديث العلم إخوانُ
حبْرٌ ورحْلةُ أعلامٍ وحُجَّتُهم ... فيما سَرَى بحديث الفضْل رُكبانُ
شيخُ الشيوخ إمامُ العَصْر عمدتهم ... الشَّاه أنورُ نورُ الله بُرهانُ
شمس الورى فيلسوف الشرق قدوتهم ... رأسُ الخيار غنىُّ النَّفس سُلطانُ
بحرٌ مُحيطٌ لمغزَى كلِّ مُعْضِلةٍ ... مِن حولِه لرَحَى الأعلام جولانُ
إذْ ظلَّ يكشفُ من فقه الحديث لنا ... تحيرتَ مستنطقًا هذا لَنُعمانُ
وفى الزمان شيوخٌ لا عِدادَ لهم ... لكنه لعيونِ العلم إنسانُ
سارتْ جنازتُه والقومُ فى جزَعٍ ... والعَيْنُ ذرَّافةٌ والقلبُ ولْهانُ
مَنْ بالحديثِ ومغزى الفقه مُضطلعٌ ... مَنْ فهمُهُ لخفايا العلمِ ميزانُ
تبكيه جامعةُ الإسلام مِن قلَقٍ ... كما بكى لِفراق الإلفِ هَيْمانُ

ونختم هذه المراثى بقصيدة رنَّانة رثاه بها تلميذُه أستاذنا العلامة المحقق الفقيه المحدِّث الأديب سماحة الشيخ محمد شفيع مفتى باكستان، حفظه الله تعالى ورعاه، وهى قصيدة طويلة بلغت ٥٢ بيتًا، نذكر منها الأبيات التالية:

نَعى بك ناعٍ سَحرةَ الفجر فانبرى — يَضجُّ السَّما والأرضَ والبدو والقرى
وأبكى الجبالَ الشَّامخاتِ نَحيبُه — ووَبْرًا ومَدَرًا والفلا ثم أبْحُرا
وأبكى دُرُوسًا والمدارس جَمَّةً — كذلك أقصى مَسْجِدٍ ثم مِنبرا
نُعِينا بجَمَّاع العلوم وسِيَّما الحديثَ وقرآنًا كريمًا مفسَّرا
فلم أدرِ أرثى عالمًا أمْ عَوالِمًا — وعلمًا وحلمًا ثم للفضلِ جَمْهرا
وفقهًا وتحديثًا ورأيًا وحكمةً — وورْعًا وزُهدًا فى السَّماءِ مشهَّرا
ووَجْهًا طليقًا باسمًا مُتهلِّلا — إذا زُرتَ زُرتَ البدرَ تمًّا مُنورا
أحقًا عبادَ الله أن لستُ زائرًا — بَعينى بعدَ اليومِ شيخى أنورا
بُخَارىَّ عصرٍ ترمْذىَّ زمانه — وزُهرىَّ وقتٍ لا خِلافَ ولا مِرا
فلو أنها رُزءٌ من الدَّهر واحدٌ — ولكنَّهُ غَيْمُ النوائب أمطرا
فما فَقْدُهُ والله فقدٌ لواحدٍ — وربِّى جَناحَ العِلم منه تكسَّرا
فطاب ثرى من راح فى الله واغتدى — لِنَشْر علوم الدين قام مُشمِّرا
وشيَّدَ أركانَ الهُدَى وأنارَها — ومذَّر بنيانَ الضَّلال وبَذَّرا(١)
وشنَّفَ آذانَ الورَى بفرائدٍ — فجاءت بها الأجفانُ غُدْوةً أدبرا(٢)
ولم يألُ فى إعلاء دينٍ ونشرِه — تراه لوجهِ الله سَيْفًا مُشهَّرا
ثواهًا له مِن رائحٍ حلَّ روضةً — بجنب المُصلَّى لا يزالُ مُنَضَّرا(٣)
سقَتْها غوادى رحمةِ الله بكرةً — فعادَتْ سَوارِيها بليل مكرَّرا
عليه سلامُ الله ما ذرَّ شارقٌ — بِعدَّةِ من صَلَّى وصامَ وكبَّرا

---

(١) أى نقض بنيان الضلال ومزقه تمزيقا.

(٢) يشير شيخنا بقوله هذا إلى قول الزمخشرى فى رثاء شيخه أبى مضر:

وقائله ما هذه الدرر التى — تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذى كان قد حشا — أبو مضر أذنى تساقط من عينى

(٣) قبره الشريف بجنب مصلى العيد فى ديوبند، يزار من كل وارد إليها، وقد زرته صباح يوم خميس ٢٨ من ربيع الأول سنة ١٣٨٢هـ رحمه الله تعالى وإيانا.

كلمات من ثناء العلماء الأكابر عليه

قال حكيم الأمة أشرف على التهانوى: إن وجود مثله فى الأمة الإسلامية آيةٌ على أن دين الإسلام حقّ وصدق.

وقال محقِّق العصر الشيخ شبِّير أحمد العثمانى صاحب "فتح الملهم شرح صحيح مسلم": فقيدُ المثيل عديمُ العديل، بقيَّةُ السلف حُجَّة الخلف، البحر الموّاج والسراج الوهّاج، لم ترَ العيونُ مثلَه ولم يرَ هو مثلَ نفسه، آية من آيات الله وحُجَّة الله على العالمين.

وقال تلميذه شيخُنا العلامة الكبير الشيخ محمد بَدْر عالَم وقد لازمه عشر سنين: لو نظرتَ إليه لنظرت إلى رجل يضاهى الذهبيَّ فى حفظه، ويماثل ابن الحجر فى إتقانه وضبطه، ويساحل ابن دقيق العيد فى عدله ودقة نظره ويشابه البحترىَّ فى شعره، ويحاكى سَحبان فى بيانه وسحره، بلى وليس ذلك بعيد من صُنع الله عزَّ وجلَّ.

وليس على الله بمستنكَرٍ أن يَجمع العالَمَ فى واحدِ

وقال شيخنا المحقِّق الكوثرى: لم يأتِ بعد الشيخ الإمام ابن الهُمَام مثلُه فى استثارة الأبحاث النادرة من ثنايا الأحاديث، وهذه برهة طويلة من الدهر.

وقال مفتى الهند الشيخ محمد كفاية الله الدهلوى يوم مات الإمام الكشميرى: إنه لم يمت، ولكن مات العلم والعلماء.

مُزنة من شعر الإمام الكشميرى

للشيخ الكشميرى الهندىِّ الدار واللسان شعر كثير بالعربية، يفيض عذوبة ورقة وبلاغة، حبَّذا لو جمعه بعضُ محبِّيه فى ديوان وجمع معه المراثى التى قيلت فيه بالعربية لكان ذلك زادًا كريمًا للأدب العربى يستحق الدراسة مثل أو أكثر من دراسة شعر "المهجر".

فمن قصيدته فى رثاء شيخه قاسم النانوتوى مؤسس دار العلوم الديوبندية:

قِفَا يا صاحبىَّ على الديار فمِن دأب الشجىِّ هوى ازديارِ
وعُوجَا بالربِّاع رباع أنس ففى المرأى لشىء كاصطبار
وإن عادَتْ دوارِسَ بعد هَجْر فقد كانتْ معاهدَ للمزار
فتلك بلادُها أمضيتُ فيها ليالىَ من طِوالٍ أو قِصار
أسابقُ ريبَ دهر ذى فنون وإنَّ سُراه لا يدريه دارِ

كأنك ما سمعتَ حديثَ شيخ | تلقَّاه الخيارُ عن الخيار
وذلك قاسمُ البركات طُرّاً | يسَيرُ بذكره تالٍ وقارى
إمامٌ حافظٌ سَنَدٌ هُمامٌ | لسانُ الحقّ مقدامُ الكبار
مجدّدُ هذه الأعصار حقًا | محدّثُها وذلك فتح بارى

ومن قصيدة له فى رثاء شيخه شيخ العالَم محمود حسن الديوبندى:

قفا نبكِ من ذكرى مزار فندمعا | مَصِيفًا ومشتى ثم مرأى ومسمعا
يجاوبنى دارٌ وجارٌ على البكى | ولم أرَ إلا باكيًا ثمَّ موضعًا
وإن كان مما ليس يَشفى ويُشتفى | بشىء ولكن خلّ عينيك تدمعا
نهضتُ لأرثى عالِمًا ثم عالمًا | حديثًا وفقهًا ثم ما شئتَ أجمعا
كبيرًا يُنادَى فى السماوات أمَّةً | إمامَ الهدى شيخًا أجلَّ وأرفعا

الإمام الكشميرى والتأليف

لم يعزم الشيخ رحمه الله تعالى أن يؤلف رسالة أو كتابًا تأليفًا مقصودًا، وإنما جُلُّ مؤلَّفاته آمالٍ أخذت عنه أو نصوصٌ وتقييداتٌ أفردها بعنوان، ولو أنه عكف على التأليف لسالت بطحاء العالَم بعلومه وتحقيقاته، ولأنارت أنوارُه اللامعة أرجاء دنيا العلم على سعتها وكثرة أهل الفضل المتقدمين فيها، وإنما ألّف بدافع الضرورة الدينية والخدمة الإسلامية عِدةَ رسائل سنذكرها فى عداد مؤلفاته.

غير أنه كان من ريعان عمره عاكفًا على جَمْع الأوابد وقَيْد الشوارد فى برنامجته وتذكرته، وكان بِذل وُسْعَه فى حَلّ المشكلات التى لم تنحلَّ من أكابر المحقّقين قبلَه، وكان كلَّما سنح لخاطره الشريف شىء مِن حل تلك المعضلات قيدَّه فى تذكرته، وإذا وقف فى كتب القوم على شىء تنحلُّ به بعض المعضلات أحال إليه برمز الصفحة إن كان مطبوعًا.

وكان من عادته مطالعةُ كل كتاب يقع له من أى علم كان، ولأى مصنِّفٍ كان، يطالعه من البدء إلى الختام، وكان كلُّ جهده فى مطالعته كتب المتقدِّمين وكتب أكابر المحققين، وكانَ له مطالعات واسعة عميقة فى كتب أئمة الفنون من كتب الفلسفة الطبيعية، والفنون الإلهية، وكتب الحقائق والتصوف، والعلوم الغريبة من النجوم والرمل والجفر والموسيقى والقيافة، وفنون الهندسة والرياضى بفنونه، وكان يقول: ربما طالعت

مجلدات ضخمة من كتاب ولم أفز منه بشىء جديد، وربما ظفرت بشىء يسير أو فائدة جديدة، فإذا اطَّلع على شىء نفيس أو تحقيق عالٍ قيَّده، وله فى تقييد تلك النوادر أصول يراعيها.

منها: أنه كان يقيِّدُ ما تنحلُّ به عقدة من مشكلات القرآن، أو الحديث، أو الفقه، أو الأصول، أو علم الحقائق، أو الكلام والتوحيد أو غيرها من العلوم، وأحيانًا يقيِّدُ ما يفيد الحل استشهادًا وتنظيرًا، أو ما يفيد تزييفًا وإسقاطًا لما هو ضعيف أو خطأ.

ومنها: أنه إذا سنح له دليل للمذهب الحنفى أو ما يفيده فى التأييد والاستشهاد، أو كان له نوع ارتباط به على ما لمحه حَدْسُه الدقيق -وربما يخفى على الناس- قيَّده.

ومنها: أنه إذا كان له تحقيق خاص فى مسألة أو حلِّ مشكلٍ خلافَ ما ذهب إليه الجمهور، ثم سنح له فى أثناء مطالعته شىء يفيده أو يُعزِّزُه، أو كان دليلا على ما يرومه كان يقيده، كمسألة العَمَاء، ما ماهية العماء؟ وهل هو قديم أو حادث؟ ما أريد به فى قوله ﷺ: «كان الله فى عماء» فى الحديث رواه الترمذى فى "سننه" من حديث رَزين العقيلى، كمسألة الروح والنفس وما يتعلق بهما من تحقيقات لم تسمعها الآذان، وكحقيقة التجلى، ومسألة المعيَّة الدَّهرية، والسَّبْقَة الدَّهرية، والمعيَّة السرمديَّة الأزليَّة، وكيفيةِ إفاضة الوجود من البارى سبحانه على المقدورات الأزلية، وحقيقة عالم المثال ونحوِ هذا من مشكلات العلوم ومعضلات الفنون العويصة.

وقد اجتمعت عنده فى تذكرته ذخائر ونفائس زاخرة لحلِّ كثير من المعضلات العلمية، وألَّف رسائل فى بعض مُهمَّات الحديث الشريف من المسائل الخلافية بين المذاهب، ملتقطًا لها من ذخائر تذكرته بإصرارٍ وإلحاحٍ من تلامذته وأصحابه ومستفيديه، ذبًّا عن حريم المذهب الحنفى، ودفعًا لطعن الحُسَّاد والجاهلين.

وهذه الرسائل المذهبية كانت دُرَرًا مبعثرة فى تذكرته، رتَّبها بعضَ ترتيب على شكل تأليف، ولذا تراها مشحونة بالإحالة على الكتب من غير سرد لجميع عباراتها، ولو رُتِّبَتْ رسائلُه تلك على عادة مؤلفى العصر الحاضر أو على عادة المولعين بالبسط والتفصيل لصارت كل رسالة منها أضعاف ما هى عليه.

مؤلفاته المطبوعة

١ - فيض البارى على صحيح البخارى: فى أربعة مجلدات كبار، وهو من أماليه

فى الدرس ، وفيه الجديدُ الكثيرُ من العلم الذى لا تراه فى شروح البخارى للسابقين ، وحسبك أن تعلم لجلالة "فيض البارى" أن الشيخ قد اعتنى بـ "صحيح البخارى" درسًا وإملاءً وخوضًا وإمعانًا ما لم يعتنِ بما عداه ، فطالع "صحيح البخارى" قبل الشروع فى تدريسه -ثلاث عشرة مرةً- من أوله إلى آخره مطالعةَ بحث وفحص وتحقيق ، وطالع من شروحه : "فتح البارى" و "عمدة القارى" و "إرشاد السارى" وغيرها نحو ثلاثين شرحًا من الشروح المطبوعة والمخطوطة فى ديار الهند والحجاز ، وكان "الفتح" و "العمدة" كأنهما صفحة بين عينيه ، ثم وفّق لتدريسه ما يربو على عشرين مرّة دراسة إمعان وتدقيق ، ثم أملى هذا الكتاب العظيم.

وقد نهض بجمعه وتدوينه أرشد تلامذته أستاذنا العلامة الجليل النبيل مَعِين العلم والصفاء والتقوى الشيخ محمد بَدْر عالَم حفظه الله تعالى وقَبِلَ صنيعَه ، وقد علّق عليه فى مواطن كثيرة تعليقات نافعة للغاية ، زادت فى بيان قدر الشيخ وسُمُوّ إمامته ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٥٧ هـ بنفقة "المجلس العلمى" فى الهند ، ثم نفدت نسخه من سنين.

٢- العَرْف الشَّذِى على جامع الترمذى : فى ٤٨٨ صفحة ، جمعه فى غاية السرعة والارتجال بعضُ أصحاب الشيخ وهو الشيخ محمد جراغ لاستفادة نفسه ، ثم سَنَحَ لبعض الحريصين على علوم الشيخ طبعُه ، فطُبع كما هو ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى فى آخر عمره قد عزم على شرح مبسوط لجامع الترمذى ، غير أنه لم يمهله الأجل المحتوم للقيام بهذه المنقبة العظيمة.

٣- أماليه على "سنن أبى داود" : طبع منه جزء واحد ، والباقى لم يطبع.

٤- أماليه على "صحيح مسلم" : جمعها تلميذه العلامة الفاضل الشيخ مناظر أحسن الجيلانى ولم تطبع ، وإنما ذكرتها والحاشية التالية هنا لمناسبة المقام.

٥- حاشيةٌ على "سنن ابن ماجه" : وكانت عند تلميذه العلامة الجليل أستاذنا الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى صاحب "التعليق الصبيح" ثم ضاعت.

٦- مشكلات القرآن : فى ٢٧٨ صفحة ، وفيه من فتوحات الشيخ وفيوضاته الشىء الكثير.

٧- فصل الخطاب فى مسألة أم الكتاب : ١٠٦ صفحة.

٨- خاتمة الخطاب فى فاتحة الكتاب : بالفارسية فى جزء لطيف.

٩ - نيل الفرقدين فى رفع اليدين : فى ١٢٥ صفحة.

١٠ - بسط اليدين لنيل الفرقدين : فى ٦٤ صفحة.

١١ - كشف الستر عن مسألة الوتر : فى ٩٨ صفحة.

١٢ - إكفار الملحدين فى ضروريات الدين : فى ١٢٨ صفحة.

١٣ - عقيدة الإسلام بحياة عيسى عليه السلام : فى ١٢٢ صفحة.

١٤ - تحية الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام : فى ١٤٩ صفحة.

١٥ - التصريح بما تواتر فى نزول المسيح.

١٦ - خاتم النبيين : بالفارسية فى ٩٦ صفحة.

١٧ - مِرقاة الطارَم لحدوث العالَم : فى ٦٢ صفحة.

١٨ - ضرب الخاتم على حدوث العالم : رسالة فى أربعمائة بيت من الشعر فى مسألة إثبات وجود الصانع الحكيم سبحانه.

١٩- سهم الغيب فى كبد أهل الريب : بالفارسية فى ٢٢ صفحة، ردَّ فيه على بريلىٍّ زعم أن الرسول ﷺ يعلم علمًا محيطًا بجميع الكليات والجزئيات مما كان ويكون، من غير فرق بينه وبين علام الغيوب إلا فَرْقَ العَرَضيَّة والذاتية.

٢٠ - كتاب فى الذب عن "قرة العينين" : بالفارسية فى ١٩٦ صفحة، وسببُ تأليفه أن للشاه ولى الله الدهلوى كتابًا فى تفضيل الشيخين على الخَتَنين اسمهُ "قرة العينين فى تفضيل الشيخين"، فصنَّف بعض الروافض كتابًا فى ردّه، فضَّل فيه الختنين عليهما، فنهض الشيخ منتصرًا للحق فى المسألة وذابًا عنه، فألَّف هذا الكتاب.

٢١ - الإتحاف لمذهب الأحناف : وهو حواشٍ وتعليقات نافعة ماتعة جامعة علَّقها الشيخ الكشميرى على كتاب "آثار السنن" لعصريّه المحدّث المحقّق النِّيْمَوِى رحمهما الله تعالى، وقد أحسن "المجلس العلمى" صُنعًا بتصوير نسخة الشيخ من كتاب "آثار السنن" المطبوعة فى مجلدين التى ملأ الشيخ بخطه الجميل حواشيها وبياضاتها التى بين السطور عِلمًا ثمينًا وإحالاتٍ كثيرةً غنيَّةً بالتحقيق، وقد سُمِّيتْ هذه التعليقات والحواشى عند ما صُوِّرت بعد وفاته : "الإتحاف لمذهب الأحناف".

قال شيخنا البَنُورى فى تقدمة "فيض البارى" ص ٢٦ : "ولو خُرّجتْ حوالاتها لأصبح ذلك كتابًا فى عِدَّة أجزاء"، انتهى.

قلتُ: تخريجُ حوالاتها وتبويبُها وتنسيقُها دَيْنٌ ثقيلٌ فى عنق أصحاب الشيخ وتلامذته الأفاضل، لا تبرأ ذمتهم إلا بإنجازه، وكنت اقترحتُ على مؤسِّس "المجلس العلمى" رجل الخير والبِرّ المفضال الحاج محمد بن موسى مِيا السملكى الإفريقى رحمه الله تعالى تأليفَ لجنة من أصحاب الشيخ وتلامذته أبقاهم الله تعالى؛ ليقوموا -خاصَّة- بتنسيق هذه التعليقات والحواشى، فإنه لا يستطيع النهوضَ بهذا الواجب العظيم أحدٌ غيرُهم، وهم الذين صاحبوا الشيخ وتلقَّوا أفكاره وعرفوا مقاصده.

ثم جدَّدتُ هذا الاقتراح على نجل ذلك المحسن الكريم الأخ الفاضل الشيخ إبراهيم حين تفضَّل بزيارتى فى حلب عقب عودته من الحج إلى بيت الله هذا العام، فوعد خيراً واستبشرنا خيراً، وأعود فأقول: أداءُ هذا الحق لا يزال ممطولا من تلامذة الشيخ الصُّدُور البُدُور، وأرجو أن تكون كلمتى هذه -وهى موجِّهة إليهم جميعًا- دافعًا جديداً للقيام بقضاء هذا الدَّين، وأخصُّ بالمطالبة به على وجه أخصّ أستاذنا وبركتنا أبا المحاسن العلامة الموهوب الشيخ محمد يوسف البَنُورى، فإنه على كثرة أعماله النافعة وخدماته الإسلامية والعلمية آتاه الله من الصبر والدأب والعون ما يمكنه النهوض بهذه المأثرة الباقية.

وإن تنسيق "الإتحاف" إتحافٌ يَجعلُ الهُمامَ الفاضل الناهض به فى مناجاةٍ دائمة وسَمَرٍ علمىّ مستمر مع الشيخ الأنور قُدّسَ سِرُّه العزيز، وما أظن السادة النُّجُب تلامذة الشيخ بارك الله فيهم بمفرّطين بهذا "الإتحاف"، ولا بمُعْرِضين عن استعادة تلك الذكريات الغالية الحبيبة إلى قلوبهم إذ كانوا يسمعون كلام الشيخ إمام العصر أو يخدمونه، ولا يتخلَّفين عن ذلك العمل الجليل الذى يُقرَن اسمُ القائم به باسم الشيخ إمام العصر على وجه الدهر، وهو إلى هذا: يُعَدُّ من خير العمل الذى يدَّخره المؤمن لآخرته، وإنا لمنتظرون.

وهذه الكتب مطبوعة فى بلاد الهند فى حياة الشيخ وبعد وفاته، وكلها مؤلفات طافحة بأبحاث سامية لا يستغنى عنها كلُّ من حاول بحثًا دقيقًا فى موضوعها.

مؤلفاته المخطوطة

للشيخ رحمه الله تعالى مؤلفات قلمية ورسائل خطية فى كثير من مشكلات العلوم والفنون، فمنها:

١ - رسالة فى الهيئة : ألفها لبعض أصحابه

٢ - رسالة فى مسألة من الهندسة وعلم المرايا والمَنَاظر

٣ - رسالة فى حقيقة العلم

٤ - رسالة فى مسألة "يا شيخ عبد القادر شيئا لله"

٥ - رسالة فى مسألة الذبيحة لغير الله

٦ - رسالة فى علم المعانى مما استدركه على السكاكى والخطيب : استنبطها الشيخ من كتاب سيبويه والكشاف، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكى

٧ - مقامات أدبية على نهج مقامات الحريرى : ومنها منقوطة كلها، ومنها غير منقوطة كلها، ومنها كالمقامة المَراغيَّة إحدى كلماتها معجمة، والأخرى مهملة

٨ - حواشٍ على "الأشباه والنظائر" لابن نُجَيم

٩ - رسالة فى مسألة صلاة الجمعة واختلاف الأئمة فى شروط أداءها : لم تتم -

١٠ - حواشٍ على حواشى الزاهدية على شرح القُطبيَّة.

وله تلخيصات مهمة نادرة : منها : -

١١ - تلخيص إمام الكلام للعلامة عبد الحى اللكنوى

١٢ - تلخيص أدلة الحنفية من "فتح القدير" لابن الهُمَام، وصل فيه إلى كتاب الحج

١٣ - تلخيص لبعض المهمات من كتاب "حياة الحيوان" للدَّمِيرى.

وله مذكرات قيمة فى كثير من الأبحاث الحديثية من "مسألة المثل أو المثلين فى وقت الظهر" وحديث : «من أدرك ركعة من الصبح»، وفى أحاديث تختص بذى القرنين ويأجوج ومأجوج وغيرهما مما رآه مشكلا فى موضوعه.

وأولى بهذه الترجمة الطويلة كلِّها أن تُسمى لُمَعًا وقَبَسات من جوانب حياة الإمام الكشميرى وعلومه وفضائله ومزاياه، فإنه حقًا كما قيل :

لو نَقَبُوا الأرضَ لم يوجـد له شَبَهُ　　　بحرُ العلوم فـمـا بحرٌ يُشـاكله

وكتبه

عبد الفتاح أبو غدّة